العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل

ان اية محاولة علمية لفهم طبيعة العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل لا بد لها من أن تؤمن لنفسها الماما **سريعا** بواقع الوجود الصهيوني في فلسطين حتى العام ١٩٤٨ . على اعتبار ان ما حدث بعد ذلك العام انما يجد جذوره في الفترة التي سبقت كما ان ما تم بناؤه منذ الاعلان عن قيام اسرائيل انما يجد ــ الى حد بعيد ــ ارضيته الصلبة فيما تم ارساؤه من قواعد واسس قبل ذلك الاعلان . فلا البناء السياسي ولا الاجتماعي ولا العسكري بعد العام ١٩٤٨ منفصل عن البناء السياسي والاجتماعي والعسكري بعد ذلك العام. ولولا بعض التغيرات ــ التي ستكون موضع بحث وخاصة في النطاق العسكري ــ لقلنا أن بناء ما قبل ١٩٤٨ ما هو الا امتداد دقيق لما تم قبله . وعلى أية حال ، فان من جملة اهتماماتنا في هذا البحث هو محاولة « وضع الاصبع » على ما يشكل استمرارا لما هو سابق زمنيا من جهة وما يشكل افتراقا عن الماضي من جهة ثانية . هناك ملاحظة وحيدة فقط جديرة بانتباهنا بهذا الصدد : ليس من اختصاص هذا البحث التعمق فيما هو قائم قبل ١٩٤٨ الا بمقدار ما يقتضيه ويتطلبه جهدنا لفهم ما قام منذ ظهور اسرائيل وحتى الان وبتحديد أكثر فان جهدنا سينصرف الى محاولة فهم ذلك الجزء من الماضي ذي العلاقة الوثيقة بالعلاقات المدنية ــ العسكرية في وضعها الراهن . وتبرز في هذا المجال حقيقتان اساسيتان : **اولا** : ان المؤسسات والتقاليد والقيم المدنية بواقعها الراهن في اسرائيل، وخاصة في السنين الاولى من قيامها ، تمثل ــ الى حد بعيد ــ امتدادا عضويا للمؤسسات والتقاليد والقيم السائدة على امتداد فترة نصف القرن قبل ١٩٤٨ . **ثانيا** : ان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لم تنبثق من فراغ بل أنها تمثل صورة من صور تطور وتحول الجهد والمؤسسات والتقاليد العسكرية الصهيونية السابقة ، المتواجدة قبل العام ١٩٤٨ ، الى واقع جديد .

المؤسسات المدنية الصهيونية(٨) وافرعها العسكرية

مثلت المؤسسات المدنية الصهيونية التعبير التنظيمي للتيار الصهيوني الذي بدأ يتبلور في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر(٩). وقد قصد ، بالواقع ، ان تكون تلك المؤسسات الاداة التنفيذية للبرنامج الصهيوني الاكثر تبلورا والذي صيغ في المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) واصبح يعرف منذئذ بأسم « برنامج بال » . نص هذا البرنامج على « أن هدف الصهيونية هو اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام»(١٠). اما الخطوات التي تقرر اتباعها لانجاز ذلك الهدف فقد تحددت على النحو التالي : « ١ ــ تشجيع استيطان العمال الزراعيين والصناعيين اليهود في فلسطين وفقا لخطوط مناسبة . ٢ ــ تنظيم اليهود وربطهم جميعا عبر مؤسسات مناسبة على الصعيدين المحلي والعالمي ، كل منها حسب قوانين البلد المعني . ٣ ــ تقوية الحس والوعي القوميين اليهوديين وتعزيزهما . ٤ ــ اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الدول ، حيث يكون ذلك ضروريا ، لتحقيق هدف الصهيونية »(١١).ولانجاز هذا البرنامج اعلن المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) عن تأسيس « المنظمة الصهيونية العالمية » . ومع الزمن نمت المنظمة باجهزتها الاصلية او المستحدثة، وتحت مختلف الاسماء ، بشكل متشعب ، سواء في فلسطين ذاتها ، او في العديد من بلدان العالم(١٢).

وقد باشرت المنظمة الصهيونية دورها « كحكومة طور التكوين »(١٣) ومارست « شبه سلطة على يهود فلسطين » واصبحت « حكومة داخل الحكومة (المقصود حكومة الانتداب) » منذ العام ١٩١٨(١٤). وعندما أعلن دافيد بن جوريون ، رئيس كل من اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية واللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، قيام اسرائيل في الرابع عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨(١٥)، تولى هو نفسه رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع كما تولى حاييم وايزمن (رئيس المنظمة الصهيونية طوال اكثر من عشرين عاما) رئاسة الدولة الجديدة . أما الحكومة المؤقتة فتشكلت من بين اعضاء اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية(١٦). وهكذا نرى الترابط العضوي بين الاجهزة المدنية الصهيونية ، وبالذات السلطة التنفيذية ، وبين الاجهزة الجديدة التي مثلت قمة الهرم التنفيذي والاداري السياسي لاسرائيل . وما يهمنا بهذا المجال هو استخلاص حقيقة اساسية مؤداها ان السلطة السياسية الرئيسية في فلسطين وخارجها قبل ١٩٤٨ بقيت ، هي ذاتها ، الممسكة بزمام الامور مع قيام الدولة. وكل هذا يعني ان السلطة السياسية **التاريخية** (بكل ما يوفره ذلك من امتيازات) بقيت ، هي